نخيس عن الاسترسال كذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وساير الاخلاق الذميمة
انما يستخرج منه خبايثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب
يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل على ظهره قربة ما بين الناس او حزمة حطب
على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوايل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من
يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلاة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول
ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي
تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة
بالريا ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورويتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير والمخالطة لها فايدة
ظاهرة باستخراج الخبايث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دايمة
وستاتي غوايل هذه المعاني ودقايقها في ربع المهلكات فان الجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم
بها يزكوا العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلاة ولا يراد الا
للصلاة افضل من الصلاة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم
على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم
يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ قد تتعدى فايدته والعمل لا تتعدى
والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل اذ مقصود الاعمال صرف
القلوب عن الخلق الى الخالق لينبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا
العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو سر هذا العلم والعمل كالرافع له الى مقصده فيكون
المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول
اذا عرفت فوايد العزلة وغوايلها تحقق ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطا
بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفايت
بسبب مخالطته من هذه الفوايد المذكورة وتقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق
ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة
للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرنا السو فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب
الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوايد والآفات

تبين

تحرير الكلام

تبيين الافضل هذا هو الحق الصراح وكلما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد
عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف
اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه
فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر
ولذلك سيل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا اجاب بجواب اخر وكل ذلك حق بالاضافة
الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلا وقد سيل
عن الفقر فقال اضرب بكمك الحائط وقل ربي الله فهو الفقير وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال
ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسال ولا يدخر
وقال اخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال
ابو ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سيل منهم مائة لسمع
منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه
خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه
قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان
اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا
يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطا ورفع الاختلاف
ومثال نظر هولا ما رايت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر الى الظل فقال
بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن اخر انه نصف قدم واخر يرد عليه وانه
في الشتا سبعة اقدام وحكي عن اخر انه خمسة اقدام واخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة
الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هولا اخبر عن الظل الذي راه ببلد نفسه فصدق
في قوله واخطا في تخطية صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم
على العالم الا بما هو حاله في نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة
اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل
وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضل العزلة والمخالطة
فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما ادابه في العزلة فنقول

Copyright © King Saud University